مجلة كيرالا

مجلة فصلية عربية

المجلد: ١، العدد ٢، ٢٠١١

رئيس التحرير

البروفيسور نزار الدين

مساعد رئيس التحرير

الدكتور تاج الدين المناني

قسم العربية، جامعة كيرالا

كارياواتام، ترفاندرام، كيرالا، الهند

العلاقات الدينية بين العرب ولاية تامل نادو :دراسة تاريخية

الدكتور .ك.م.ع. أحمد زبير[1]

الهند تقع في جنوب آسيا ولها ثقافة قديمة وكانت لا تزال على علاقات وثيقة مع بلدان العالم.فهي كانت تنشر حضارتها وثقافتها وعلومها. وهي كانت مركز الأمور المختلفة منذ زمن قديم حتى قبل الميلاد. بسبب وجودها في وسط العالم وبسبب وجودها على المحيط الهندي وبسبب وقوعها في بحر العرب وخليج بنغال والسفن التي تجري وتمر بالبضائع إلى الشرق والشرق الأقصى ترسي مرساتها على سواحل الهند الغربية والشرقية والسفن التي تمرُّ من الشرق إلى الغرب وإلى البلدان العربية ترسي مرساتها في شاطي الهند شرقا وغربا. فكان وطننا الهند مركزا للرحلات البحرية والسفن تجري بالبضائع التجارية.

١ الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابـها، الكلية الجديدة، شـنائي، الهند.

العلاقة بين الهند الدول العربية قديمة وعريقة منذ فجر التاريخ. ويُروي أنه لـمّا أُخرج آدم عليه السلام من الجنة أُهبط بسرنديب (سيلان) من أرض الهند. وكانت القوافل التجارية إلى المناطق الساحلية في جنوب الهند بين الهند والدول العربية وتعرّف العرب على المدن الرئيسية الكائنة تقع على الساحل الطويل مثل كليكوتى (Kallikottai) ومسيري (Musri) وطوندي (Thondi) وكوشي (Kochi) وكولم (Kollam) وكايل (Kayal) وناغاباتنم (Nagapattinam) ومسولي باتنم (Masulipattinam) وجيانغرم (Vijayanagaram). وبفضل هذا الاحتكاك التجاري تأثرت الحياة الهندية اجتماعيا وحضارة وثثافة ولغة حتى وصلت اللغة العربية إلى الهندية الجنوبية عموما وبخاصة في ولاية تامل نادو قبل مجيئ الإسلام بقرون.

ولاية تامل نادو هي إحدى الولايات الشهيرة التاريخية الواقعة في جنوب الهند. تقع تامل نادو في أقصى جنوب الهند ومساحتها ١٣٣٠٣٨ كيلومتر مربع ويحدها شرقا خليج "البنغال" وغربا ولاية "كيرلا" وشمالا ولايتا "آندهرا براديش" و"كرناتكا" وجنوبا بلاد "سريلانكا" والمحيط الهندي. إن التاريخ يشهد صريحا كل الصراحة على ربط العلاقات الوثيقة بين العرب وتامل نادو من أقدم العصور. كانت هناك روابط وعلاقات شتى بين العرب وهذه الولاية من أقدم الأيام إلى عصر النبي صلى الله عليه وسلم لها العلاقة في مجال التجارة والمعيشة والديانة.

ودخل الإسلام إلى أرض الهند أولا من المناظق الساحلية الجنوبية ثم بعد زمن طويل في المناطق البرية الشمالية عن طريق الفتوحات الإسلامية الناجحة.بدأ ظهور الإسلام أولا في القرى والمدن الساحلية لولاية تامل نادو ثم انتشر الإسلام من الأماكن الساحلية إلى الأماكن غير الساحلية في هذه الولاية. وبنى المسلمون في تامل نادو المساجد

والمدارس والزوايا والتكايا والمعاهد الإسلامية في أماكنهم.

كانت صلات العرب مع جنوب الهند قوية حتى قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان التجار العرب والهنود يتبادلون المنتوجات والمصنوعات فيما بينهم امتدت هذه الأحوال إلى استيطان العرب في الأماكن الساحلية المليبارية والتاملية أي مناطق "مليبار" ومناطق "معبر".

يقول المؤرخ البارز يم. إي. غني في جريدته "نور الحق" : أن الإسلام ظهر في ولاية تامل نادو منذ ٦٣٧م. وأول بقعة من بلاد الهند استضاءت بنور الإسلام هي بلاد "مليبار" لأن التجارة كانت قائمة بين بلاد العرب المليبار منذ عهد عتيق كما ذكر صاحب تحفة المجاهدين أن سكان فلسطين كانوا يتجرون مع المليبار في عهد داؤد وسليمان عليهما السلام.

وكان العرب يسافرون من مدينتي مصر والشام بطريق البر يمشون على شاطي بحر الأحمر ويصلون الحجاز واليمن ويركبون السفن ويسافرون إلى أفريقيا والحبشة وبعضهم يمرون بحضرموت وعمان والبحرين والعراق عن طريق الشاطي ويصلون ايران ويرسون سفنهم في ميناء بلوجستان أو ميناء ديبل أعني كراتشي ويمرون بمواني الهند مثل غجرات وكاتهياوار وبومبائي وكاليكوت ورأس كماري (Capecomerin) ومدراس أو يصلون مدراس بطريق سرنديب وأندومان ويدخلون خليج بنغال بعد هذه الجولة.

فالذين كانوا يـزورون الهند الجنوبية لغرض التجارة ولغرض البيع والشراء بدءوا يزورون للدعوة والتبليغ أيضا. فالتجار من العرب أصبحوا مسلمين ومبلغين وداعين إلى الله ورسوله وإلى تعليمات الإسلام. العلاقة بين المسلمين وتامل نادو لغرض التبشير بدأت من القرن الثامن. فالعلاقات التجارية القديمة غيرت لونها وأصبحت العلاقة الدينية.

يظن بعض مؤرخي الهند أن الإسلام جاء إلى الهند بعد غز ومحمد

بن القاسم الثقفي الذي أرسله الحجاج بن يوسف الثقفي لفتح السند في شمال الهند سنة ٩٢ هـ / ٧١٢م أو بعد عدة غزوات لمحمود الغزنوي الهند. وهذه الآراء ليست صحيحة ولا توجد دلائل مناسبة لهذه الآراء الباطلة. والصحيح أنه دخل الإسلام المناطق الساحلية الجنوبية الهندية قبل قرن لهذه الغزوات وكان الإسلام موجودا إلى أبعد حد في المناطق الجنوبية الهندية منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم. فكانت العلاقة والصلة بين العرب والهند قديمة جدا.

إن الدلائل التي تدل على أن علاقة تامل نادو مع جزيرة العرب علاقة قديمة. تثبت وتدل هذه الدلائل الآتية على العلاقات الدينية بين العرب وتامل نادو منذ عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الدليل الأول

أن تميم الداري الأنصاري أتى إلى جنوب الهند في بلد كولام التي قريبة من مدراس (تسمى الآن شنائي) وقبره موجود حتى الآن .وهو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن خزيمة بن ذراع بن عدي بن الدار أسلم في سنة تسع من الهجرة وكان يسكن المدينة. الصحابي سيدنا تميم الداري الأنصاري رضي الله عنه توفي هناك وقبره يوجد حاليا في قرية " كولام" قريبا بـ ٣٦ كلومترا من مدينة مدراس.

الدليل الثانـي

سيدنا الصحابي عكاشة بن المحصن المكي رضي الله تعالى عنه هو الذي شارك في غزوة بدر وجاء إلى ولاية تامل نادو لنشر دعوة الإسلام ودفن في "محمود بندر" التي غيرها البرتغاليون إلى "بورت نوفا" (Portnova)

وروضته موجودة على ساحل "كورومندل (Corramandol). هذه بلدة قريبة من مديرية "كدلور" (Cuddalore)بمسافة ثلاثين كلومتر

الدليل الثالث

يوجد مقبرة هابيل بن آدم عليه السلام في راميشفرم (Rameswaram) في ولاية تامل نادو في جنوبها الأقصى.

الدليل الرابع

جاء السلطان سيد إبراهيم الشهيد من المدينة المنورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم (في منامه) مع الجند لنشر الإسلام في السند في ٥٥٧ هـ / ٦٢- ١١٦١م. ولد الشيخ سيد إبراهيم (١١٣٥ - ١١٩٩م) بالمدينة المنورة من نسل النبي صلى الله عليه وسلم. جاء إلى الهند الجنوبية في زمن سلطنة " بانديا" سنة ٥٨٢ هـ/٨٧ - ١١٨٦م. وأنشأ سلطنة إسلامية وعاصمتها " باوتر مانكاباتنم" (Pavithramanickappattinam) وأستشهد السلطان سيد إبراهيم في سنة ٥٩٥ هـ/ ١١٩٣م وحكم على هذه المنطقة لمدة إثنتي عشرة سنة ونصف. ودفن في "إيـروادي" (Ervadi) وقبره يوجد حاليا في هذه القرية .تقع هذه القرية " إيروادي" في مديرية " رامنادبرم" بمسافة سبعة أميال بالجانب الغربي من بلدة كيركري.

الدليل الخامس

وصل الشيخ داود إلى ولاية تامل نادو وقبره (٦٠ قدما) يوجد حاليا في قرية متوبيتي (Muthupettai) التي تقع على مديرية " تروورور" (Thiruvarur) في هذه الولاية.وكان من بني إسرائيل.

الدليل السادس

زار الرحال الشيخ محمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة (هذه الولاية ١٣٠٣ - ١٣٧٧م) وسرنديب في عصر الملك آريـا شكرورتي (Aryachakravarthy) زار ابن بطوطة البلدة " فتان" في ولاية تامل نادو. حينما جاء ابن بطوطة إلى هذه البلدة كان السلطان غياث الدين حاكما على مترة .(Madurai) وذكر لقائه بالشيخ محمد النيسابوري في هذه البلدة المذكورة.

الدليل السابع

كان السلطان تقي الدين أميرا في جزيرة "كيش" في إيران وكان أخوه الكبير السلطان جمال الدين حاكما لتلك الجزيرة وزار كل منهما مدينة كيركري لعدة مرات لغرض التجارة وأحضرا معهما عشرة آلاف من الخيول سنويا لمملكة بانديا في ولاية تامل نادو في عام ١٣٠٣م تزوج السلطان تقي الدين من أسرة بانديا المليكة واستقر في كيركري.

كان الشيخ سلطان تقي الدين عبد الرحمن وزيرا ومستشارا وزميلا للملك راجا سندر بانديان (Raja sundara Pandyan) أقطع له الملك موانئ " كايل فتن ". أصبح السلطان تقي الدين رئيس الوزراء لحكومة الملك مارورمان كوليشقر بانديان الأول (Maravarman Kulasekhara Pandiyan) لفترة من ١٣١٠م إلى ١٣١٥م. وبعد وفاة مارورمان كوليشقر بانديان الأول حكم السلطان تقي الدين المديريات الساحلية مثل كيركري وديفي باتنم. واشتغل ابن السيد جمال الدين المسمى فخر الدين أحمد مندوبا لدولة بانديا لدي حكومة الصين لبعض الوقت.

الدليل الثامن

وصل الداعي الإسلامي عبد الله بن أنور إلى ولاية تامل نادو في عهد حكام "شولا" وبنى عبد الله أنور مسجدا ويوجد هذا المسجد في " ترشنافلي" حتى اليوم ولكنه في حالة متهدمة.

الدليل التاسع

جاء الشيخ الصوفي نطهر ولي الله من الشام إلى ولاية تامل نادو في القرن العاشر لعصر " شولا" لنشر دعوة الإسلام وتوفي في تامل نادو سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م. ومقبرة الشيخ نطهر ولي إلى الآن موجودة في " ترشنافلي بالقرب من المسجد المذكور أعلاه.

الدليل العاشر

أن جماعة من المسلمين من مصر هاجروا في القرن الثالث من الهجرة إلى الهند بسبب فتنة خلق القرآن ونزلوا في الساحل الجنوبي من أقصى الهند وعمروا في قاهر باتنم .وهؤلاء خرجوا من شعاب " المقدم" بالقاهرة وعددهم ٢٢٤ نفرا بقيادة محمد خلجي من عائلة الكبرى وساروا بقارب على البحر متوجهين إلى الساحل الهندي وبعد سفر طويل نزلوا في هذه المنطقة من الأرض في ٨٧٥ الميلادي واستوطنوها. وبما أنهم جاءوا من القاهرة دعوا هذه الولاية أيضا " القاهرة الصغيرة" ولما سمع ملك مملكة "باندِيا" عن نزول هؤلاء العرب ذهب هناك واستقبلهم استقبالا حارا ورتب لهم جميع التسهيلات اللازمة ومنحهم تلك المنطقة كلها مجانا إذ أن العلاقة بين العرب ومملكة "باندِيا" كانت قوية راسخة منذ أمد بعيد.

أن الملك لهذه البلاد كان استأثر هؤلاء المسلمين لعلو مكانتهم وأخلاقهم الفاضلة وأنعم عليهم بعنايته الوافرة التامة

الدليل الحادي عشر

زار الرحال العربي وصّاف والرحال العالمي ماركوبولو (Marcopolo)(١٢٥٤ – ١٣٢٣م) في القرن الثالث عشر الميلادي إلى مدينة فتان (تسمى باوترمانكا باتنم أيضا) التي تقع على منطقة "معبر" أي المناطق الساحلية التاملية. ذكر الرحال وصّاف "معبر" وهو مدخل الهند. جاء "وصّاف" إلى ولاية تامل نادو في زمن سلطنة "بانديا" وكانت التجارة الخيول مشهورة في ذاك الوقت.

وظهرت في ولاية تامل نادو حضارة عربية إسلامية حتى انتشرت اللغة العربية في تامل نادو انتشارا بالغا. وإن الحكام المسلمين الفاتحين لولاية تامل نادو قد بذلوا قصارى جهودهم في تعميم رسالة الإسلام على قدر كفاءاتهم .ولذا وجد الإسلام في ولاية تامل نادو أرضا خصبة سهلة وأصبح في كل ميناء أو مدينة جماعة ممن اعتنقوا الإسلام وبنوا المساجد وأنشأوا شعائرهم في حرية تامة.

ولعل تأثير الصوفية كان أكثر في تكوين الروح الإسلامية في ولاية تامل نادو. اعتبرت ولاية تامل نادو مركز للصوفية. دخل الناس في الإسلام بعدد كبير كما دخل فيه كثير منهم في العهود السابقة بجهود الصوفية، والدعاة، والأمراء. إن الدراسة العربية بدأت في هذه ولاية منذ بداية الإسلام فيها لأن العربية تعد جزءا لازما للإسلام ومادة ضرورية في المناهج الدراسية الإسلامية في كل عصر ومصر.

ومن الأهمية بمكان أن عناية الصوفية والأتقياء بتعميم مكارم الإسلام في ولاية تامل نادو عن منبع الإسلام لا تقل عن عناية التجار والملاحين

والحكام المسلمين ذكر ابن بطوطة في رحلته أنه لقي الصوفية المسلمين. كما ذكر ابن بطوطة زوايا كثيرة يسكنها المشائخ وكان ملوك الوثنين يعظمونهم تعظيما كبيرا. وكان الصوفية والزهاد والنساك المسلمون مرافقين للعساكر الإسلامية والتجار المسلمين في حلهم وترحالهم. وعلاوة على ذلك هناك كثير من الأصفياء والنساك المسلمين والدعاة المبلغين الذين ارتحلوا إلى ولاية تامل نادو وأقاموا فيها ومنهم :

(١) الشيخ نطهر ولي المتوفى ١٠٢٦م

(٢) الشيخ سلطان سيد إبراهيم الشهيد

(٣) الشيخ ملك الملك (جاء إلى ولاية تامل نادو في السنة ١٠٥٠م)

(٤) الشيخ علي شاه (جاء إلى ولاية تامل نادو في القرن الحادي عشر)

(٥) الصحابي تميم الأنصاري الداري رضي الله عنه

(٦) الصحابي عكاشة رضي الله عنه

(٧) الشيخ شاه عبد الحميد ميران الناغوري (١٥٣٠ - ١٦٠٠ م)

(٨) الشيخ داود ولي ب " متوبيتي" (Muthupettai)

(٩) الشيخ المخدوم شنيني لبي عالم

هؤلاء الصوفية والأتقياء والنساك والزهاد المسلمون وأولياء الله الكرام رحمة الله عليهم لم يأتوا إلى ولاية تامل نادو إلا بدافع ديني من المنفعة الذاتية. غادروا وطنهم وتركوا أسرتهم وأغلقوا تجارتهم وطردوا راحتهم لأجل الدين وتوطنوا ولاية تامل نادو كي يدعوا سكانها إلى الفوز والفلاح والإيمان والإصلاح.

المصادر والمراجع

١. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار بتحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، الرياط، ١٤١٧هـ
٢. الدكتور محمد سليمان العمري، الدراسات العربية والإسلامية في تامل نادو منذ سنة ١٨٥٧م.
٣. الدكتور أحمد زبير، أسرة الشيخ صدقة الله أبا وخدماتها الدينية والعلمية، ٢٠٠٣م.
٤. الدكتور عبد القادر (المحرر)، تطور اللغة العربية وآدابها في الهند، ترشي، ٢٠٠٤م.
٥. الشيخ زين الدين المليباري، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، مكتبة الهدى، كاليكوت، الهند.
٦. مقال بعنوان "العرب والإسلام في ولاية تامل نادو" للدكتور أحمد زبير من مجلة "ثقافة الهند"، المجلد:٥٥، العدد:٤، ٢٠٠٤م.
٧. مقال بعنوان "استيطان العرب وانتشار الإسلام في ولاية تامل نادو" للدكتور أحمد زبير من مجلة "ثقافة الهند"، المجلد:٥٩، العدد:٣، ٢٠٠٨م.
٨. مقال بعنوان "دخول الإسلام في ولاية تامل نادو" للدكتور أحمد زبير من مجلة "الصحوة الإسلامية"، العدد:٥٩، يوليو ٢٠٠٨م.